بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، يُخْلِفُ عَلَى المُنْفِقِينَ، وَيَرْفَعُ دَرَجَاتِ المُحْسِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ، وَمَوْئِلُ اليَتَامَى وَالفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ– وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] .

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ تَوْفِيقِ اللهِ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَحْرِصَ غَايَةَ الحِرْصِ عَلَى أَنْ تَجْرِيَ حَسَنَاتُهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَيَبْقَى ذِكْرُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ؛ فَيَكُونَ مُقْتَدِيًا بِأَبِي الأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلامُ– الَّذِي سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ، وَمَا لِسَانُ الصِّدْقِ فِي الآخِرِينَ إِلاَّ الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي تَبْقَى لِلإِنْسَانِ بَعْدَ حَيَاتِهِ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الأَعْمَالِ الوَقْفَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الوَقْفُ، إِنَّهُ مِنَ الصَّدَقَةِ الجَارِيَةِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَيَجِدُ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّهُ عَاشَ سِنِينَ طَوِيلَةً فَوْقَ عُمُرِهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ عَاشَ قُرُونًا مِنَ الزَّمَانِ، وَلِلهِ فَهْمُ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ لِقَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[2]، فَقَدْ فَهِمَ أَنَّ نَيْلَ دَرَجَةِ البِرِّ يَكُونُ بِالصَّدَقَةِ بِخَيْرِ مَالِهِ الَّذِي يَبْقَى بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَقَدْ وَفَّقَهُ اللهُ فَوَقَفَ بَيْرَحَاءَ صَدَقَةً للهِ، يَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ.

(١) سورة آل عمران/١٣٣ - ١٣٤.
(٢) سورة آل عمران/ ٩٢ .

فَبَقِيَتْ بَيْرَحَاءُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا – عِبَادَ اللهِ – وَأَيْنَ أَبُو طَلْحَةَ! وَكَمْ مَضَى عَلَى وَفَاتِهِ! مَضَى عَلَى وَفَاتِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ، وَوَقْفُهُ بَاقٍ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ عَلَى قِلَّةِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ يَقِفُونَ وَلَوْ شَيْئًا قَلِيلًا – فَالقَلِيلُ عِنْدَ اللهِ كَثِيرٌ – ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[1]، فَيَقِفُونَ النَّخْلَةَ وَالنَّخْلَتَيْنِ، وَيَقِفُونَ شَيْئًا مِمَّا يَمْلِكُونَ مِنْ مَاءِ الأَفْلاجِ وَالآبَارِ، وَمَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ زَادَ؛ فَذَهَبُوا وَبَقِيَتْ أَوْقَافُهُمْ، وَرَحَلُوا وَلَمْ تَنْقَطِعْ أَعْمَالُهُمْ، فَكَانَ حَرِيًّا بِالنَّاسِ وَقَدْ وَسَّعَ اللهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَنْ يَقِفُوا مِنْ مَالِهِمْ، وَيُقَدِّمُوا لِحَيَاتِهِمْ، وَذَلِكَ الَّذِي لَكَ مِنْ مَالِكَ؛ فَلَيْسَ لَكَ – يَا ابْنَ آدَمَ – مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ.

وَخَيْرُ الوَقْفِ وَأَحْسَنُ الصَّدَقَةِ – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ – مَا أَمْضَاهُ الإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ مَمَاتِهِ، وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: ((أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ وَتَأْمُلُ الغِنَى. وَلا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلانٍ كَذَا وَلِفُلانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلانٍ)). وَقَدْ تَنَافَسَ السَّابِقُونَ فِي الوَقْفِ فِي شَتَّى صُنُوفِ الخَيْرِ؛ فَتَجِدُ عَشَرَاتِ الأَنْوَاعِ مِنْ صُنُوفِ الوَقْفِ، حَتَّى إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَجِدُ وَقْفًا لِعِصِيِّ العُمْيَانِ، وَوَقْفًا لِلْحَيَوَانَاتِ الجَائِعَةِ، وَوَقْفًا لِذَوِي الأَمْرَاضِ المُعْدِيَةِ، وَوَقْفًا لِلْعِلْمِ وَالمُتَعَلِّمِينَ، وَوَقْفًا لِنَسْخِ الكُتُبِ وَإِصْلاحِهَا، وَوَقْفًا لابْنِ السَّبِيلِ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[2]، فَكَانَتْ أَوْقَافُهُمْ أُجُورًا لَهُمْ، وَبَرَكَاتٍ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَسَبَبًا لِصَلاحِ ذُرِّيَّاتِهِمْ، كَيْفَ لا! وَرَبُّنَا جَلَّ جَلالُهُ يَقُولُ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

وَلا يَلْزَمُ – عِبَادَ اللهِ – أَنْ يَقِفَ الإِنْسَانُ شَيْئًا بِمَالٍ كَثِيرٍ لِمَنْ لا يَجِدُ، بَلْ كُلٌّ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾[4]، وَإِنَّ فِي السَّهْمِ الوَقْفِيِّ، الَّذِي فُتِحَتْ أَبْوَابُهُ، بُغْيَةَ مَنْ لا يَجِدُ الكَثِيرَ؛ فَيُمْكِنُهُ أَنْ يُسْهِمَ بِمَا قَدَرَ، وَيُنْفِقَ مَا يَسْتَطِيعُ؛ لِيَجِدَ نَفْسَهُ

(١) سورة المزمل/٢٠.
(٢) سورة المطففين/ ٢٦.
(٣) سورة البقرة/ ٢٧٤.
(٤) سورة الطلاق/ ٧.

صَاحِبَ وَقْفٍ بِفَضْلِ اللهِ، وَلَوْ أَسْهَمَ بِرِيَالاتٍ أَوْ عَشَرَاتٍ مِنَ الرِّيَالاتِ، وَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِلْءَ كَفٍّ أَوْ كَفَّيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ، وَعَابَ عَلَى أُولَئِكَ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَمَزُوهُمْ، فَقَالَ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، إِنَّه هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ المُهْتَدِينَ الهُدَاةِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ– وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ جَعَلَ فِي المَالِ حَقَّيْنِ: حَقَّ إِيتَاءِ المَالِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَحَقَّ الزَّكَاةِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ الحَقَّ الأَوَّلَ قَبْلَ حَقِّ الزَّكَاةِ؛ تَذْكِيرًا بِهِ، وَتَنْبِيهًا عَلَيْهِ؛ حَتَّى لا يَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّ الوَاجِبَ فِي المَالِ هُوَ الزَّكَاةُ فَقَطْ، يَقُولُ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[2]، وَإِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ الغَفْلَةِ عَنِ الحَقِّ الأَوَّلِ أَنْ يَسْأَلَ سَائِلٌ عَنْ جَوَازِ إِعْطَاءِ الزَّكَاةِ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ، أَوْ أَخِيهِ أَوْ أُخْتِهِ، غَافِلًا أَنَّ لَهُمْ فِي المَالِ حَقًّا غَيْرَ الزَّكَاةِ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مِنَ المَالِ مَا وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْهُ الزَّكَاةَ، كَانَ حَرِيًّا بِكَ أَنْ تُخْرِجَ لَهُمْ مِنْ أَصْلِ المَالِ لا مِنَ الزَّكَاةِ.

وَالعَجَبُ مِنْ غَنِيٍّ تَكُونُ زَكَاتُهُ بِالآلافِ وَيَدْفَعُهَا إِلَى وَلَدِهِ، وَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُعْطِيَهُ أَضْعَافَ الزَّكَاةِ مِنْ أَصْلِ مَالِهِ؛ فَكَانَ أَشْبَهَ بِمَنْ جَلَبَ بِالزَّكَاةِ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ لا يَجْلِبُ بِهَا

(١) سورة التوبة/ ٧٩.
(٢) سورة البقرة/ ١٧٧.

المُزَكِّي مَغْنَمًا، وَلا يَدْفَعُ بِهَا مَغْرَمًا، وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَضَعُونَ الزَّكَاةَ فِي غَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا، وَسَمَّى فَاعِلَ ذَلِكَ مُتَعَدِّيًا، وَجَعَلَ حُكْمَهُ كَحُكْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لا صَلاةَ لِمَانِعِ الزَّكَاةِ، لا صَلاةَ لِمَانِعِ الزَّكَاةِ، لا صَلاةَ لِمَانِعِ الزَّكَاةِ، وَالمُتَعَدِّي فِيهَا كَمَانِعِهَا))، وَمَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، دَخَلَ جَنَّةَ رَبِّهِ.

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

(١) سورة الأحزاب/ ٥٦.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.